نافذة

إسماعيل مروة

مخرج فرنسي يقدم صورة للجرائم بحق الحضارة

The oathofcyriac الفيلم الفرنسي للمخرج أوليفييه بورجوا، واحد من الأعمال الفنية التي تسجل أمرين في وقت واحد، الأمر الأول ما تمثل في الكوارث الحضارية التي قام بها المتطرفون والإرهابيون، حيث استباحوا أول ما استباحوا الإرث الحضاري والتاريخي لسورية، والمتمثل بالحواضر التراثية التي تعد جزءاً من التراث الإنساني والمتحفي العالمي، فكانت الكوارث التي نالت تدمر وحضارتها وآثارها، وما تبقى من أعمدة ومعابد وعبق زنوبيا العظيمة، وما حدث في متحف حلب من اعتداءات صارخة تستهدف ما يحتفظ به متحف حلب من آثار وكنوز، وحين نتحدث عن حلب، فإننا نتحدث عن منطقة غنية بالآثار والمتاحف والتاريخ، عن منطقة حدودية كانت عبر التاريخ عرضة للنهب، وفي الحرب الكونية على سورية كانت حلب بمختلف متاحي الحياة عرضة للنهب. وفي الجانب التاريخي والآثاري كانت الجريمة أكبر، والغاية أبعد وأعمق.. وثاني ما استباحوه الإنسان بصفتيه الوجودية والحضارية، بصفته كائناً يجب أن يتم التخلص منه، ومن رعايته للإرث الحضاري، ومن كونه سليل هذه الحضارة والحامي لها من غدر الزمن.. المخرج أوليفييه بورجوا في هذا الفيلم يتناول بتقنية عالية، وسينما متطورة هذين الجانبين، ويعطيهما أولوية خاصة، فمن جانب كان المتحف محزناً للحضارة والتاريخ، ومن جانب آخر كانت البطولات الخارقة للإنسان السوري صاحب الحضارة، والحامي للمتحف وتاريخه، ورأينا هذا الإنسان في مرتبة عليا من البطولة، وقد وصف الإنسان السوري في هذا الفيلم، وكأنه بطل شعبي، ومفهوم البطل الشعبي يقترب من الأسطرة، وقد يضعه كثيرون في خانة عدم التصديق مع أن مفهوم البطل الشعبي هو أسطورة لها أساس في الواقع تقوم عليه، ومفهوم البطولة الشعبية كما جاء في الفيلم تتجاوب مع المصطلح، فالبطل الشعبي هو ضمير الشعب، ليس فردياً من صنع كاتب، بل هو ضمير الشعب، ويحمل الفكر الجمعي للمجتمع، وكم من مرة قرأنا وسمعنا وشاهدنا، وبعضنا ظن أن هذه البطولات غير قابلة للتصديق، ولكن عندما نضعها في أطارها الشعبي، وفي خانة الذاكرة الشعبية يتغير الأمر بصورة كبيرة.

المخرج بحرفية عالية ربط بين المتحف والآثار والمجتمع والأبطال، وهؤلاء الأفراد استبسلوا من أجل الآثار وقطع المتحف ومقتنياته لعدة أسباب أولها ما يتعلق بالآثار والتاريخ، وأهمها ما يتعلق بالذاكرة الشعبية الجمعية التي جعلت الشخصيات يتمتعون بهذه البطولات الخارقة.

صورت أعمال سينمائية ودرامية عديدة ما جرى على الأرض السورية خلال سنوات الحرب عليها، وهذا التوثيق لا يستطيع إدراكه وإدراك أهميته إلا من عاش على الأرض ورأى بنفسه، وربما عاين وعاش واكتوى.. ومع ذلك نجد من يصف بعض الأعمال بالمبالغة في تصوير ما حدث على الأرض، فما بالنا إن كان الذي يتابع من الذين لم يروا شيئاً مما جرى؟

وهذا التعاون الوثيق بين المخرج والمديرية العامة للآثار والمتاحف يقدم فيلماً مختلفاً، فالجهة المعنية بالآثار هي التي تقدم المعلومة والتسهيلات، وعين محايدة تدرك قيمة الصورة والسينما هي التي عملت على المادة الدرامية والتوثيقية لتقدم عملاً مهماً، يتوجه من خلال عرضه اليوم، وعرضه محلياً فيما بعد إلى الجمهور السوري ليجلو له الحقائق التي لم يعرفها من قبل، أو كان بعيداً عنها، ولتقتنع المرجفين المترددين بأن شخصاً مجايداً استطاع أن يرى ويقدر ما ألمّ بمتاحفنا وإنساننا، ومن باب أولى أن نتابع ونقدر ما حصل على أرضنا من شذاذ الآفاق الذين لا تعنيهم الحضارة والآثار، والذين يرونها مجرد حجارة وأصنام، وينفذون ما أراد لهم مموّلوهم في طمس الحضارة السورية. وأهمية الفيلم ليست من شهادة غربية غربية، بل فيما سيقدمه المخرج وفيلمه للمجتمع الغربي والفرنسي من معلومات مهمة غابت عنهم، وخاصة في ظل حملات حكوماتهم ضد سورية، ووقوفها طرفاً في الحرب على سورية، يأتي هذا الفيلم بتقنياته وخبراتهم ولغتهم الفنية ليقدم حقائق يجهلها المتابع الأوروبي عما جرى على أرض الواقع.

لا بد من توجيه الشكر للمخرج على جرأته في اقتحام عالم درامي توثيقي لقضية أمن بها، تتعلق بالحضارة السورية والحضارة الإنسانية، وللمديرية العامة للآثار والمتاحف لأنها تسجل وثيقة لما جرى مع المقتنيات، ودور الإنسان في الحفاظ عليها، والشكر للأمانة السورية على رعايتها لعرض الفيلم على الجمهور.

ما جرى على الأرض السورية درامياً وتوثيقياً لا يكفيه ما تم تقديمه من أعمال سورية مخلصة كالتي قدمها مبدعونا السوريون نجدة أنزور وأيمن زيدان وجود سعيد وباسل الخطيب وسواهم، أو ما تم تقديمه في أعمال تحمل صبغة عالمية كهذا الفيلم، ونحن بانتظار الأعمال التي تكشف ما حصل إنسانياً وحضارياً، وخاصة الأعمال التي تخاطب الآخر، وتبرز له الجريمة، وتصور له حقيقة الإنسان السوري الذي تجاوز المعقول في بطولته ووطنيته وانتمائه.

«قسَم سيرياكوس».. حكاية سورية خالصة للمخرج الفرنسي أوليفييه بورجوا

رسالة محبة وسلام تؤكد أن شعبنا انتصر على الظلم والعدوان والإرهاب والجهل

المخرج الفرنسي مع وزيرة الثقافة

بورجوا: سأنشر الفيلم في كل أنحاء العالم وقد بدأنا وسنستمر

وائل العدس
تصوير طارق السعدوني

على أرض قلعة دمشق مساء أمس، وبحضور رسمي وثقافي وفني وشعبي كبير، قدم المخرج الفرنسي أوليفييه بورجوا فيلمه الوثائقي الدرامي عن متحف حلب بعنوان: (The Oath of Cyriac / قَسَم سيرياكوس)، وهو حكاية سورية خالصة تم إنتاجها بالتعاون بين المديرية العامة للآثار والمتاحف في وزارة الثقافة والأمانة السورية للتنمية.

الفيلم الحاصل على ١٧ جائزة في كبرى المهرجانات العالمية مأخوذ عن قصة حقيقية لأبطال سوريين دافعوا عن هويتنا وذاكرتنا من التخريب والنسيان، يشبهون أبطال الحكايات الشعبية الذين نجحوا في تحقيق عهدهم لوطنهم وللإنسانية جمعاء.

ويتحدث الفيلم عن تكاتف مجموعة صغيرة من علماء الآثار والقائمين على المتحف، مع تصاعد وتيرة الحرب الإرهابية على مدينة حلب عام ٢٠١٥، للحفاظ على المجموعات الأثرية التي وصل عددها لنحو ٥٠ ألف قطعة أثرية، من مقتنيات متحف حلب الوطني، متحدين وايلاً من القذائف ونيران القناصة، ليرقدوا أياماً بلياليها على أرض المتحف، لإنجاز مهمتهم الإنسانية من دون كهرباء أو ماء، فعملوا بكل جهد وأمانة على إخفاء التماثيل الأثرية والمقتنيات الثمينة، للحفاظ عليها من يد الإرهابيين.

وساهم هؤلاء في إنقاذ محتويات المتحف ومقتنياته ونقلها إلى دمشق عندما كانت حلب تتعرض لقذائف الإرهاب بشكل يومي، وأيضاً في أعمال ترميم أقسام المتحف جراء ما طاله من تدمير.

متحف حلب وموظفوه والقائمون عليه كان مثالاً حياً لصمود السوريين بوجه أعتى وأشرس الحروب الإرهابية، خاصة أنه يمثل ذاكرة إنسانية وثقافية وقيمة أثرية وتراثية مهمة ليكون شاهداً على تطور الثقافات والحضارات السورية على مر العصور من آرامية وآشورية وكلدانية وفينيقية ليشكل أيقونة تذكرنا بالماضي الموغل في القدم، إضافة إلى أنه من الأهم على مستوى العالم لما يحتويه من لقى يعود بعضها إلى ما قبل الميلاد.

المتحف وبعد صموده الطويل وإغلاقه لسبع سنوات، عاد ليفتتح أبوابه في شهر تشرين الأول عام ٢٠١٩ بعد تحرير مدينة حلب من دنس الإرهاب على يد الجيش العربي السوري، فشكلت إعادة افتتاحه رسالة للعالم بأن الشهباء تنفض غبار الإرهاب عنها وتعود لها الحياة مجدداً.

وجاء الفيلم ليجسد رسالة محبة وسلام تؤكد أن شعبنا انتصر على الظلم والعدوان والإرهاب والجهل.

المخرج الفرنسي أبدى سعادته لعرض الفيلم في دمشق، وقال: الفيلم وثائقي درامي، الأشخاص فيه حقيقيون وقد وعدتهم أن أنشر الفيلم في كل أنحاء العالم، وأظن أننا بدأنا بهذا وسنستمر به.

وقدّمت وزيرة الثقافة د. لبانة مشوح قبل عرض الفيلم دروعاً تكريمية للأبطال الذين حافظوا على مقتنيات المتحف وهم: مدير متحف حلب السابق محمد بشير شعباني، مدير عام الآثار والمتاحف نذير عوض، معاون مدير الآثار والمتاحف ومشرف الفيلم د. همام سعد، مساعد المخرج فرانك ماير، أمين متحف حلب أحمد عثمان، مدير آثار ومتاحف حلب خالد المصري السابق، ديسبينا بسلان أمين متحف حلب الكلاسيكي، الرائد طارق أبو علي مسؤول حماية القطع الأثرية، مدير مركز الباسل للبحث الأثري أحمد ديب، مساعد المصور لقمان رستم، مسؤولة أرشيف الفيلم لميس بقججي، وسامي الرفاعي في الدعم اللوجستي.

الهوية الفكرية العقائدية

وتضيء فكرة الفيلم جوانب في عمق صون الهوية الثقافية والتاريخية للبلد في ظل حرب شُنّت أصلاً ضد هوية وتاريخ سورية.

ويحمل الفيلم في فكرته إسقاطات سياسية لجهة دور الدولة ومؤسساتها الرسمية والمدنية في حماية تاريخ هذا البلد؛ كما تحمل فكرته أيضاً بُعداً يطول الهوية الفكرية والعقائدية للشعب السوري مُمثلاً بأبطال هذا الفيلم، الذين عملوا على حماية الآثار والقطع الموجودة في متحف حلب الوطني، ومنعوا ضياعها أو تدميرها أو سرقتها، وبالتالي فإن هذا الفيلم في غاية الأهمية في هذا الوقت، وكل وقت سواء للداخل السوري، وللجيل السوري وللمؤسسات السورية، وأيضاً للخارج.

جنود مجهولون

في كلمتها أمام الحضور، قالت وزيرة الثقافة: «صمدنا بفعل حكمة قيادتنا السياسية وبسالة جنودنا الأبطال وبفعل حرصنا وإيماننا وإخلاصنا لثقافتنا وهويتنا وتراثنا، هذا التراث الذي ورثناه عن آبائنا وأجدادنا ويحق لنا ومن واجبنا أن نصونه وأن نعطيه أجمل وأكثر تطوراً واستدامة للأجيال القادمة.

وأضافت: هناك جنود مجهولون في وزارة الثقافة يعملون بصمت وبظروف لا يمكن أن يتصورها بشر، أقسموا بحبهم لوطنهم ولتراثهم ولثقافتهم أن يحموا هذا التراث بكل ما أوتوا من قوة، أقسموا أن يبذلوا كل ما لديهم في كل الظروف، الكلمات وحدها لا تفيهم حقهم نحتاج إلى شيء أوسع من الكلمات وأفصح منها وأكثر تعبيراً شيء يلامس جوهر الإنسان وعواطفه.

وأكدت أن هذا الفيلم أوسع من الكلمات، فيلم حاز على جوائز كثيرة مهرجانات دولية وهذا دليل على تميزه وإبداعه، ولا بد أن ننحني أمام من صنعه، وهو فيلم مبدع لأنه زاوج بين الواقع والتجربتين الحسية والإنسانية وطرح أسئلة ثقافية كبيرة عن الحقيقة، حقيقة ما يقال وحقيقة ما جرى في متحف حلب بأن هناك أناس قارعوا الموت وصمدوا وتقلوا بعضاً من مقتنياته في ظروف لا يتصورها عقل.

وختمت: عندما تتهدم المتاحف ستكون خسارتنا كبيرة لكن بسواعد أبناء الوطن وكفاءاتهم وبدعم الدولة يعاد بناؤها، وذلك يأخذ وقتاً وجهداً ومالاً لكنه يعاد، أما مقتنيات المتاحف فخسارتها لا تقدر بثمن ولا يمكن تعويضها.

رسالة سورية

رشا برهوم من الأمانة السورية للتنمية أشارت إلى أن الحرب على سورية استهدفت الحجر والبشر وقصدت تدمير التراث والثقافة السورية التي عمرها آلاف السنين.

وأكدت أن المتاحف كانت جزءاً من هذا التراث المستهدف، ومتحف حلب لوحده يضم آثاراً تعود لآلاف وملايين السنين، وفي عامي ٢٠١٤ و٢٠١٥ كان على خط المواجهة مع المسلحين والإرهابيين، فكان الموظفون فيه كالجنود الحقيقيين فدافعوا عن الآثار وحافظوا عليها وقدّموا أرواحهم لكي يحافظوا عليها في أمكان آمنة.

وشددت على أن الشيء المميز في هذا الفيلم أن الشخص الذي صنع الفيلم مخرج فرنسي، ما يساعد في إيصال رسالة سورية حاولنا لسنوات إيصالها بشكل صحيح بأننا تعرضنا لإرهاب ودمار كبيرين.

وختمت بأنه وعندما يوثق شخص من خارج سورية هذه الحرب فهذا دليل على وجود أشخاص تحب سورية وآثارها.

الهوية السورية

مدير عام الآثار والمتاحف نذير عوض أوضح أن الفيلم تحدث عن تجربة السوريين والمؤسسات الحكومية والأمنية وحتى المجتمع المحلي في الدفاع عن تراثهم الثقافي الأثري خلال الحرب على سورية، وكيف استطاع هؤلاء حماية متاحفهم التي تعرض فيها الهوية السورية.

وأكد أن الفيلم توثيقي بامتياز، نجح في توثيق الحقيقة والتقى الأشخاص الحقيقيين وزار الأماكن الصحيحة، فكان فيلماً استثنائياً مهماً لأنه سلط الضوء على ما حدث من تعدٍ همجي غير حضاري على الآثار السورية.

الجنود المجهولون

النجمة سلاف فواخرجي قالت لـ«الوطن»: كان لي حظ بأن أكون متابعة للتحضيرات الأولى للفكرة والانطلاقة، فكان عندي فكرة عن الموضوع لكن عندما شاهدته اليوم استرجعت سنوات الحرب الصعبة بكل آلامها والتي من الصعب نسيانها، لكني في الوقت نفسه عندما شاهدت هؤلاء الأبطال والجنود المجهولين الذين حموا التراث والآثار وهذه الأرواح السورية التي لا تعوض يزيد فخرنا لكوننا سوريين وتجعلنا مؤمنين أكثر، مؤكدة أن هذا الفيلم يستحق التقدير.

د. لبانة مشوح: فيلم مبدع لأنه زاوج بين الواقع والتجربتين الحسية والإنسانية

وزيرة الثقافة تتوسط فريق عمل الفيلم

رشا برهوم

نذير عوض

ديسبينا بسلان

سلاف فواخرجي